الإسلام ومكافحة الأمية

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

القراءة والكتابة هما أقوم السبل للتحصيل والمعرفة . وجاء عمل النبي صلى الله عليه وسلم من افتداء أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين إشارة حكيمة إلى فائدة الكتابة وأثرها فى كسب المعرفة ، وعلى الأخص القرآن الكريم ، مما يؤدى إلى تثبيت الدين والعمل على انتشاره .

ثم اقتضى نظام العمران بعد انتشار الإسلام واستتباب أمره فى البلاد المختلفة شرقاً وغرباً ، إلى ظهور الكتاتيب لتعليم الصبيان القرآن والكتابة والقراءة وبعض النحو والعربية . وتناول معلم الكتاب الأجر نظير انقطاعه لهذا العمل بعد أن كان التعليم فى صدر الإسلام تطوعاً واحتساباً .

وظهور الكتاتيب الإسلامية أثر من آثار الإسلام اقتضته ضرورة الدين الجديد الذى يخاطب الناس كافة لا يقتصر على طبقة دون طبقة ، ولا يفرق بين الأغنياء والفقراء ، أو الأمراء والدهماء .

وكان الغرض الأول من التعليم دينياً خالصاً من شوائب الأهداف المادية التى تفسد على الناس أمورهم وتؤدى إلى الاضطراب والتنازع والفساد .

وقد سار الأمر فى مكافحة الأمية مع الروح الأولى الإسلامية تلك الروح المتدفقة القوية ، يصحبها العزم والإيثار والتطوع لتعليم الصغار والكبار . وليس فى القرآن نص على إلزام التعليم ولم يوجب الحديث ذلك . جاء فى الصحيح : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وهو أقوى ما يؤثر عن الرسول بصدد التعلم والتعليم . وهذا الحديث يجعل من تعلم القرآن فضيلة ولا يرتفع بها إلى مرتبة الواجبات

وقد بحث أحد علماء المسلمين هذا الموضوع ، أى مكافحة الأمية ، إلى أن انتهى إلى القول بها . ذلك العالم هو أبو الحسن القابسى المتوفى سنة ٤٠٣ هجرية ، فى كتابه « المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » . قال إن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والدين ، وحيث أن الوالد مشغول بتحصيل المعاش ، فلا بأس أن يحمل عنه معلم الكتاب مؤونة التعليم بالأجر . وإذا مات الوالد فليبعث بالصبى إلى الكتاب وصيه إن كان للصبى مال ؛ فإن لم يكن له مال فليبعث به أحد الأقربين أو المحسنين أو يدفع له حاكم البلد الأجر من بيت مال المسلمين .

والقابسى يتلمس جميع الوسائل المؤدية إلى تعليم الصبيان . إلى أن قال : « فإذا تهاون والد عن تعليم ولده فى الكتاب بالأجر ، عُجِّل وقبِّح ووضُع حاله عن أهل القناعة والرضا » فهذا فقيه فى القرن الرابع الهجرى ينادى بالتعليم الإلزامى ، ويصور وسائله ، ويضع شروط الجزاء للمتهاونين فيه !

والفرق بين الإلزام الذى يقول به وبين الإلزام فى العصر الحاضر ، هو أن الدولة هى التى تنفق على التعليم ، وأن قوانينها تعاقب من يمتنع عن إرسال أبنائه بالحبس أو الغرامة ، أما القابسى فيضع جزاء أدبياً هو التجهيل والتقبيح .

على أن نداء القابسى لم يتبدد ، فقد وجد آذاناً صاغية من المحسنين والقادرين الذين حبسوا أموالهم على الكتاتيب ووقفوا لها الأوقاف ، وبذلك ازدهرت حياة التعليم فى القرنين الخامس والسادس .

فليذكر الذين يتأثرون خطي الغربيين ويأخذون بحضارتهم أن الإسلام نادى بالتعليم العام منذ ألف عام ، فى الوقت الذى كانت أوربا تعيش في التأخر والجهل

وليذكر الذين يعملون فى مصر الآن على « مكافحة الأمية » تلك الصفحة المجيدة فى حياة الإسلام ، لعلها تفيد فى رجع ما انقطع .

أحمد فؤاد الأهوانى